

الفضل الأول

تحديد لفظة العرب

نطلق لفظة « العرب » اليوم على سكان بلاد واسعة ، يكتبون ويؤلفون وينشرون ويخاطبون بالإذاعة و « التلفزيون » بلغة واحدة ، نقول لها لغة العرب أو لغة الضاد أو لغة القرآن الكريم . وإن تكلموا وتساموا وتعاملوا فيما بينهم وفي حياتهم اليومية أدوا ذلك بلهجات محلية متباينة ، ذلك لأن تلك اللهجات إذا أرجعت رجعت الى أصل واحد هو اللسان العربي المذكور ، وإلى السنة قبائل عربية قديمة ، وإلى ألفاظ أعجمية دخلت تلك اللهجات بعوامل عديدة لا يدخل البحث في بيان أسبابها في نطاق هذا البحث .

ونحن إذ نطلق لفظة (عرب) و (العرب) على سكان البلاد العربية ، فإنما نطلقها اطلاقاً عاماً على البدو وعلى الحضرة ، لا نفرق بين طائفة من الطائفتين ، ولا بين بلد وبلد . نطلقها بمعنى جنسية وقومية وعلم على رس له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر .

واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل ، مصطلح يرجع الى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تاريخياً الى ما قبل الميلاد ، بل لا يرتقي عن الإسلام الى عهد جد بعيد . فأنت إذا رجعت الى القرآن الكريم ، والى حديث رسول الله ، وجدت للفظه مدلولاً يختلف عن مدلولها في النصوص الجاهلية التي عُثر عليها حتى الآن، أو في التوراة والإنجيل والتلمود وبقية كتب اليهود والنصارى وما بقي من مؤلفات

يونانية ولاتينية تعود الى ما قبل الإسلام . فهي في هذه أعراب أهل وبر ، أي طائفة خاصة من العرب . أما في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي الشعر المعاصر للرسول، فإنها علمت على الطائفتين واسم للسان الذي نزل به القرآن الكريم، لسان أهل الحضرة ولسان أهل الوبر على حد سواء . « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر* . لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين* » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أعجمي وعربي . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد* » .

وإذا ما سألتني عن معنى لفظة (عرب) عند علماء العربية ، فإنني أقول لك : إن لعلماء العربية آراء في المعنى ، تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات . ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة ، وُضعت على الحدس والتخمين ، وبعد حيرة شديدة في إيجاد تحليل مقبول فقالوا ما قالوه مما هو مذكور في الموارد اللغوية المعروفة ، وفي طبيعتها المعجمات وكتب الأدب . وكل آرائهم في تفسير اللفظة وفي محاولة إيجاد أصلها ومعانيها ، هو اسلامي ، دون في الاسلام .

وترى علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما يذهبون الى أن (يعرب) كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي، ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي أنهم يرجعون عهده الى مبدأ الخليفة ، وقد كانت الخليفة قبل خلقت (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونسب لسان أبيه اسماعيل . ألهم اسماعيل هذا اللسان العربي لإماماً . وكان أول من فتن لسانه بالعربية الميمنة ، وهو ابن أربع عشرة سنة^٣ . واسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم .

والقائلون إن (يعرب) هو أول من أعرب في لسانه ، وانه أول من نطق

١ سورة النحل . رقم ١٦ الآية ١٠٣ .
 ٢ سورة فصلت . رقم ٤١ الآية ٤٤ .
 ٣ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » « عرب » ، اللسان (٢ / ٧٥) الزهر (١ / ٣٠ فما بعدها) ، ابن خلدون (٢ / ٨٦) .

بالعربية ، وان العربية إنما سميت به ، فأخذت من اسمه ، إنما هم القحطانيون . وهم يأتون بمختلف الروايات والأقوال لإثبات أن القحطانيين هم أصل العرب ، وأن لسانهم هو لسان العرب الأول ، ومنهم تعلم العدنانيون العربية ، ويأتون بشاهد من شعر (حسان بن ثابت) على إثبات ذلك ، يقولون : إنه قاله ، وان قوله هذا هو برهان على ان منشأ اللغة العربية هو من اليمن . يقولون انه قال :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا ، فصرتم معربين ذوي نقر
وكنتم قديماً ما بكم غير عجمة كلام ، وكنتم كاليهائم في القفرا

ولم يكن يخطر ببال هؤلاء أن سكان اليمن قبل الإسلام كانوا ينطقون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، وأن من سيأتي بعدهم سيكتشف سر «المسند» ، ويتمكن بذلك من قراءة نصوصه والتعرف على لغته ، وأن عريته هي عربية تختلف عن هذه العربية التي ندون بها ، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية في الاسلام بالطبع الى اخراج الحميرية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى من العربية ، وقصر العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، وعلى ما تفرع منها من لهجات كما سأحدث عن ذلك فيما بعد . وهو رأي يمثل رأي العدنانيين خصوم القحطانيين .

والقاتلون إن يعرب هو جدّ العربية وموجدّها ، عاجزون عن التوفيق بين رأيهم هذا ورأيهم في أن العربية قديمة قدم العالم ، وأنها لغة آدم في الجنة ، ثم هم عاجزون أيضاً عن بيان كيف كان لسان أجداد (يعرب) ، وكيف اهتدى (يعرب) الى استنباطه لهذه اللغة العربية ، وكيف تمكن من إيجاد وحده لها من غير مؤازر ولا معين ؟ الى غير ذلك من أسئلة لم يكن يفتن لها أهل الأخبار في ذلك الزمن . وللأخباريين بعد كلام في هذا الموضوع طويل ، الأشهر منه القولان المذكوران ، ووفق البعض بينها بأن قالوا : إن (يعرب) أول من نطق

١ كتاب الاكليل ، (١١٦/١) تحقيق (محمد بن علي الاكوع الحوالي) ، القاهرة سنة ١٩٦٣ (مطبعة السنة المحمدية) ، المكتبة اليمنية (٢) ، الاصمعي .

بمنطق العربية ، واسماعيل هو أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن^١ .

أما المستشرقون وعلماء التوراة المحدثون ، فقد تتبعوا تأريخ الكلمة ، وتتبعوا معناها في اللغات السامية ، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين والبابليين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم ، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة (عرب) هو نص آشوري من أيام الملك (شلمنصر الثالث) (الثاني؟) ملك آشور^٢ . وقد تبين لهم أن لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى ، بل كانوا يقصدون بها بدواة وإمارة « مشيخة » كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية ، كان حكمها يتوسع ويتقلص في البادية تبعاً للظروف السياسية ولقوة شخصية الأمير ، وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بـ « ملك » يقال له (جنديبو) أي (جنذب) وكانت صلته سيئة بالآشوريين . ولما كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع ، صعب على العلماء ضبط الكلمة ، فاختلّفوا في كيفية المنطق بها ، فقررت : (Aribi) و (Arubu) و (Aribu) و (Arub) و (Arabi) و (Urbi) و (Arbi) الى غير ذلك من قراءات^٣ . والظاهر أن صيغة (Urbi) كانت من الصيغ القليلة الاستعمال ، ويغلب على الظن أنها استعملت في زمن متأخر ، وأنها كانت بمعنى (أعراب) على نحو ما يقصد من كلمي (عربي) و (أعربي) في لهجة أهل العراق لهذا العهد . وهي تقابل كلمة (عرب) التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأي بعض المستشرقين . وعلى كل حال فإن الآشوريين كانوا يقصدون بكلمة (عربي) على اختلاف أشكالها بدواة ومشيخة كانت تحكم في أيامهم البادية تمييزاً لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في تخوم البادية^٤ .

١ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » .

٢ Margollouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the rise of Islam, P. 3, The Jewish Encyclopedia, New York, 1902, P. 41, Reallexikon der Assyriologie, erster Band, Zweite Lieferung, S., 125, James A. Montgomery, Arabia and the Bible, PP. 27.

٣ Erich Ebling und Bruno Meissner, Reallexikon der Assyriologie, Erster Band, Berlin and Leipzig 1922, P. 125.

٤ Ency, Bibli, Vol., I, P. 273, E. Schrader Kellinschriften und Geschichtsforschung, PP. 100, Fr. Delityech, wo lag das Paradise?, P. 295, 304, F. Caussin de Perceval, Histoire des Arabes I, P., 4ff.

ENCYCLOPEDIA BIBLICA, by cheyne, vol., I, p. 273.

ووردت في الكتابات البابلية جملة « ماتوريسي » (Matu A-Ra-bi) ،
 (Matu Arabaai) ومعنى (ماتو) (متو) أرض ، فيكون المعنى (أرض
 عربي) ، أي (أرض العرب) ، أو (بلاد العرب) ، أو (العربية) ،
 أو (بلاد الأعراب) بتعريف أصدق وأصح . إذ قصد بها البادية ، وكانت
 تحفل بالأعراب^١ . وجاءت في كتابة (بهستون) (بيستون)^٢ (Behistun)
 للدارا الكبير (داريوس)^٣ لفظة (ارباية) (عرباية) (Arabaya)^٤ وذلك
 في النص الفارسي المكتوب باللغة الأخمينية ، ولفظة (Arpaya) (M Ar Payah)
 في النص المكتوب بلهجة أهل السوس (Susian) (Susiana) وهي اللهجة

W. Muss Arnolt, assyrisch — english — Deutsches handwort-erbuch, Berlin, ١
 1903, s., 616, Winckler, A.O.F., Band, 2, S., 465, Margollouth, The relations
 between Arabs and israelites prior to the rise of islam, London, 1924, p., 3.

٢ (بهستون) و (بيستون) . « بهستون (بالفتح ثم الكسر) : قرية بين
 همدان و حلوان ، اسمها ساسياتان ، بينها وبين همدان أربع مراحل ،
 وبينها وبين قرميسين ثمانية فراسخ . وجبل بهستون ، عال مرتفع ممتنع ،
 لا يرتقى الى ذروته ، وطريق الحاج تحته سواء ، ووجهه من أعلاه الى أسفله
 أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت ووجهه وملس .
 فزعم بعض الناس أن الأكاسة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق
 ليبدل به على عزته وسلطانه . وعلى ظهر الجبل بقرب الطريق مكان يشبه الفار
 وفيه عين ماء جارية ، وهناك صورة دابة كأحسن ما يكون من الصور ، زعموا
 انها صورة دابة كسرى المسماة شيديز ، وعليها كسرى ، وقد ذكرته مبسوطا
 في باب الشين » ، البلدان (٢ / ٣١٥) ، (طبعة وستفلد) (٧٦٩ / ١)
 (شيداز : بكسر اوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وآخره زاي .
 ويقال : شيديز بالياء المثناة من تحت منزل بين حلوان وقرميسين في
 لحف جبل بيستون ، سمى باسم فرس كان لكسرى ، وقد وصف ياقوت
 الحموي الموضع ، وذكر آراء الناس فيه والقصص التي كانت تروى عن
 الصور ، البلدان (٥ / ٢٢٨) .

٣ يعرف في الكتب العربية بـ (دارا) ، كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء
 ص (٢٠) ، مروج الذهب (١ / ١٩٦ ، ٢٤٥) ، (دارا الكبير)
 (دارا الأكبر) تاريخ الطبري (١ / ٦٨٧ ، ٧٠٦ ، ٧١٩) طبعة اوربية .

٤ The Sculptures and inscription of Darius the great on the Rock of Behistun in
 persia, London, 1907, p., XVIII, 161 Ency. Bibl., 273, Hastings, Dictionary of
 the Bible, p., 48 Hastings : وسيكون رمزه :

العلامة لغة عيلام^١ .

ومراد البابليين أو الآشوريين أو الفرس من (العربية) أو (بلاد العرب) ،
البادية التي في غرب نهر الفرات الممتدة الى تخوم بلاد الشام .

وقد ذكرت (العربية) بعد آشور وبابل وقبل مصر في نص (دارا) المذكور^٢ ،
فحمل ذلك بعض العلماء على ادخال طور سيناء في جملة هذه الأرضين^٣ . وقد
عاشت قبائل عربية عديدة في منطقة سيناء قبل الميلاد .

وبهذا المعنى أي معنى البداوة والأعرابية والجفاف والقفر ، وردت اللفظة
في العبرانية وفي لغات سامية أخرى . ويدل ذلك على أن لفظة (عرب) في تلك
اللغات المتقاربة هو البداوة وحياة البادية ، أي بمعنى (أعراب) . وإذا راجعنا
المواضع التي وردت فيها كلمة (عربي) و (عرب) في التوراة ، نجدها بهذا
المعنى تماماً . ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر (أشعيا) (Isaiah)
مثلاً نرى أنها استعملت بمعنى بداوة وأعرابية ، كالذي جاء فيه : (ولا يخيم
هناك أعرابي^٤) (وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب تبين
يا قوافل الددانين^٥) . فقصده بلفظة (عرب) في هذه الآية الأخيرة البادية
موطن العزلة والوحشة والخطر ، ولم يقصد بها قومية وعلمية لمجلس معين بالمعنى
المعروف المفهوم .

ولم يقصد بجملة (بلاد العرب) في الآية المذكورة والتي هي ترجمة (مسّا

١ (السوس بضم اوله وسكون ثانيه وسين مهملة اخرى . بلفظ السوس الذي
يقع في الصوف : بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال عليه السلام . قال حمزة :
السوس تعريب الشوش بنقط الشين ، ومعناه الحسن والنزه والطيب . . .
قال ابن المقفع : اول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستتر
ولا يدرى من بنى السوس وتستتر والابلة . وقال ابن الكلبي : السوس بن سام
بن نوح) ، البلدان (٥ / ١٧١ وما بعدها)

٢ Sculp. P., 4, 95, 161.

٣ Ency., Bibl., P., 273, Hastings, P. 46. Encyclopaedia Biblica, by Cheyne, I,
PP., 287, J. Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 131, J. Hastings, A
Dictionary of the Bible dealing with its Language Literature and Contents, p., 84.

٤ الاصحاح الثالث عشر ، آية ٢٠ . (ولا يضرب أعرابي فيها خباء) ، الترجمة
الكاثوليكية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠

٥ الاصحاح الحادي والعشرين ، الآية ١٣ ،

J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament,
Leiden, 1959, P., 4.

هـ - عرب (Massa ha-Arab) ، المعنى المفهوم من (بلاد العرب) في الزمن الحاضر أو في صدر الإسلام ، وإنما المراد بها البادية ، التي بين بلاد الشام والعراق وهي موطن الأعراب^١ .

وبهذا المعنى أيضاً وردت في (أرميا) ، ففي الآية (وكل ملوك العرب) الواردة في الاصحاح الخامس والعشرين^٢ ، تعني لفظة « العرب » « الأعرابي » ، أي « عرب البادية » . والمراد من « وكل ملوك العرب » و « كل رؤساء العرب » و « مشايخهم » ، رؤساء قبائل ومشايخ ، لا ملوك مدن وحكومات . وأما الآية : « في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية »^٣ ، فإنها واضحة ، وهي من الآيات الواردة في (أرميا) . والمراد بها أعرابي من البادية ، لا حضري من أهل الحاضرة . فالمفهوم اذن من لفظة (عرب) في اصحاحات (أرميا) إنما هو البداوة والبادية والأعرابية ليس غير .

ومما يؤيد هذا الرأي ورود (ها عرابة ha 'Arabah) في العبرانية ، ويزاد بها ما يقال له : (وادي العربة) ، أي الوادي الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل الى خليج العقبة^٤ . وتعني لفظة (عرابة) في العبرانية الجفاف وحافة الصحراء وأرض محروقة ، أي معاني ذات صلة بالبداوة والبادية . وقد أقامت في هذا الوادي قبائل بدوية شملت لفظة (عرب) . وفي تقارب لفظة (عرب) و (عرابة) ، وتقارب معناهما ، دلالة على الأصل المشترك للفظتين . وبعد وادي (العربة) وكذلك (طورسيناء) في بلاد العرب . وقصد ب (العربية) بركة سورية في (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية)^٥ .

١ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٨٨ فما بعدها) ،
A Religios Encyclopaedia or Dictionary of Biblical, Historical Doctorinal, and
Practical Theology, by, Philip Schaff, 1894, Vol., I, P., 122.

٢ الآية ٢٤ ، 98 ، The Bible Dictionary, I, P.,

٣ الاصحاح الثالث ، الآية الثانية .

٤ Ency. Bibl., I, P., 271.

٥ « مكتوب انه كان لابراهيم ابنان : احدهما من الامة ، والآخر من الحرة . غير أن الذي من الامة ولد بقوة الجسد ، أما الذي من الحرة فبقوة الموعد . وذلك انما هو رمز ، لان هاتين هما الوصيتان احدهما من طورسيناء تلد للعبودية ، فهي هاجر ، فان سيناء هو جبل في ديار العرب ، ويناسب اورشليم الحالية ، لان هذه حصلت في العبودية مع بنيتها) ، رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية (، الرسالة الرابعة ، ٢٢ فما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٨٩) .

وقد عرف علماء العربية هذه الصلة بين كلمة (عرب) و (عرابة) أو (عربة) ، فقالوا : (لأنهم سموا عرباً باسم بلدهم العربات . وقال إسحاق بن الفرج : عربة باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام) . وقالوا : (وأقامت قريش بعربة ففتخت بها ، وانتشر سائر العرب في جزيرتها ، فنسبوا كلهم الى عربة ، لأن أباهم إسماعيل ، صلى الله عليه وسلم ، نشأ وربى أولاده فيها فكثروا . فلما لم تحملهم البلاد، انتشروا ، وأقامت قريش بها^٢ . وقد ذهب بعضهم الى أن عربة من تهامة^٣ ، وهذا لا ينفي على كل حال وجود الصلة بين الكلمتين .

ورواية هؤلاء العلماء ، مأخوذة من التوراة ، أخذوها من أهل الكتاب ، ولا سيما من اليهود، وذلك باتصال المسلمين بهم ، واستفسارهم منهم عن أمور عديدة وردت في التوراة ، ولا سيما في الأمور السني وردت مجملًا في القرآن الكريم والأمور التي تخص تأريخ العرب وصلاتهم بأهل الكتاب .

ويرى بعض علماء التوراة أن كلمة (عرب) إما شاعت وانتشرت عند العبرانيين بعد ضعف (الاشماعيليين) (الاسماعيليين) وتدهورهم وتغلب الأعراب عليهم حتى صارت اللفظة مرادفة عندهم لكلمة (اشماعيليين) . ثم تغلبت عليهم ، فصارت تشملهم ، مع أن (الاشماعيليين) كانوا أعراباً كذلك ، أي قبائل بدوية تنتقل من مكان الى مكان ، طلباً للمرعى وللماء . وكانت تسكن أيضاً في المناطق التي سكنها الأعراب ، أي أهل البادية. ويرى أولئك العلماء ان كلمة (عرب) لفظة متأخرة ، اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين ، بدليل ورودها في النصوص الآشورية والبابلية ، وهي نصوص يعود عهدها الى ما قبل التوراة . ولشيوعتها بعد لفظة (اشماعيليين) ، ولأدائها المعنى ذاته المراد من اللفظة ، ربط بينها وبين لفظة (اشماعيليين) ، وصارت نسباً ، فصير جد هؤلاء العرب (اشماعيل) ، وعدوا من أبناء إسماعيل^٤ .

- ١ اللسان (٢ / ٧٢) ، القاموس المحيط (١ / ١٠٢) .
- ٢ اللسان (٢ / ٧٢) ، تاج العروس (٣ / ٣٤٤) ، « طبعة الكويت » .
- ٣ اللسان (٢ / ٧٦) ، تاج العروس (٣ / ٣٤٤) ، « الكويت » .
- ٤ راجع الالفاظ : (عرب) و (يشماعيل) في معجمات التوراة .

هذا ما يخص التوراة ، أما (التلمود) ، فقد قصدت بلفظة (عرب) و (عربيم) ('Arbim) (عربيم) ('Arbim) الأعراب كذلك ، أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة ، وجعلت لفظه (عربي) مرادفة لكلمة (اسماعيلي) في بعض المواضع .

وقبل أن أنتقل من البحث في مدلول لفظة (عرب) عند العبرانيين الى البحث في مدلولها عند اليونان ، أود أن أشير الى أن العبرانيين كانوا اذا تحدثوا عن أهل المدر ، أي الحضرة ذكروهم بأسمائهم . وفي سلاسل النسب الواردة في التوراة ، أمثلة كثيرة لهذا النوع ، سوف أتحدث عنها .

وأول من ذكر العرب من اليونان هو (أسكيلوس ، أسخيلوس) « أشيلس » « أجيلوس » (Aeschylus) ، (٥٢٥ - ٤٥٦ قبل الميلاد) من أهل الأخبار منهم ، ذكروهم في كلامه على جيش (أخشويرش) (Xerxes) ، وقال : انه كان في جيشه ضابط عربي من الرؤساء مشهوراً^٢ . ثم تلاه (هيرودوتس) شيخ المؤرخين (نحو ٤٨٤ - ٤٢٥ قبل الميلاد) ، فتحدث في مواضع من تأريخه عن العرب حديثاً يظهر منه انه كان على شيء من العلم بهم . وقد أطلق لفظة (Arabae) على بلاد العرب ، البادية وجزيرة العرب والأرضين الواقعة الى الشرق من نهر النيل^٣ . فأدخل (طورسيناء) وما بعدها الى ضفاف النيل في بلاد العرب .

لفظة (العربية) (Arabae) عند اليونان والرومان ، هي في معنى (بلاد العرب) . وقد شملت جزيرة العرب وبادية الشام . وسكانها هم عرب على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ، على سبيل التغليب ، لاعتقادهم ان البداوة كانت هي الغالبة على هذه الأرضين ، فأطلقوها من ثم على الأرضين المذكورة .

وتدل المعلومات الواردة في كتب اليونان واللاتين المؤلفة بعد (هيرودوتس) على تحسن وتقدم في معارفهم عن بلاد العرب ، وعلى أن حدودها قد توسعت في مداركهم فشملت البادية وجزيرة العرب وطور سيناء في أغلب الأحيان ، فصارت لفظة (Arabae) عندهم علماً على الأرضين المأهولة بالعرب والتي تغلب عليها

١ موعيد قطان ١٢٤
٢ Ency. Bibl., I, P., 273.
٣ Ency. Bibl., I, P., 271.

الطبيعة الصحراوية ، وصارت كلمة (عربي) عندهم علماً للشخص المقيم في تلك الأرضين ، من بدو ومن حضر ، إلا أن فكرتهم عن حضر بلاد العرب لم تكن ترتفع عن فكرتهم عن البدوي ، بمعنى أنهم كانوا يتصورون أن العرب هم أعراب .

ووردت في جغرافية (سترابون) كلمة (أرمبي) (Erembi) ، ومعناها اللغوي الدخول في الأرض أو السكنى في حفر الأرض وكهوفها ، وقد أشار الى غموض هذه الكلمة وما يقصد بها ، أيقصد بها أهل (طرغلوديته) (Troglodytea) أي (سكان الكهوف) أم العرب ؟ ولكنه ذكر أن هناك من كان يريد بها العرب ، وإنما كانت تعني هذا المعنى عند بعضهم في الأيام المتقدمة ، ومن الجائز أن تكون تحريفاً لكلمة (Arabi) فأصبحت بهذا الشكل^١ . أما الإرميون ، فلم يختلفوا عن الأشوريين والبابليين في مفهوم (بلاد العرب) ، أي ما يسمى بـ (بادية الشام) وبادية السماوة . وهي البادية الواسعة الممتدة من نهر الفرات الى تخوم الشام . وقد أطلقوا على القسم الشرقي من هذه البادية ، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس ، اسم (بيت عربية) (Beth 'Arb'aya) و (باعرباية) (Ba 'Arabaya) ، ومعناها (أرض العرب) . وقد استعملت هذه التسمية في المؤلفات اليونانية المتأخرة^٢ . وفي هذا الاستعمال أيضاً معنى الأعرابية والسكنى في البادية .

ووردت لفظة « عرب » في عدد من كتابات « الحضر » . ووردت مثلاً في النص الذي وسم به « ٧٩ » حيث جاء في السطرين التاسع والعاشر « وبجندا دعرب » ، أي « وبجنود العرب » . وفي السطر الرابع عشر : « وبمحطر وعرب » ، أي « وبالخضر وبالعرب »^٣ . ووردت في النص : « ١٩٣ » : « ملكادي عرب » ، أي « ملك العرب » وفي النص « ١٩٤ » وفي نصوص أخرى^٤ . وقد وردت اللفظة في كل هذه النصوص بمعنى « أعراب » ، ولم ترد علماً على قوم وجنس ، أي بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر^٥ .

١ Strabo, Vol., 3, P., 215.

٢ Ency. Bibl., Vol., I, P., 273, Hastings, P., 46, Schrader, Kellinschr. und Gesch. S., 100, Delitzsch, Wo lag das Paradies? S., 295.

وسيكون رمزه Dellmych

٣ مجلة سومر ، السنة ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 243. ff.

٤ سومر ، ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 261.

٥ Die Araber, IV, S., 269.

هذا ، وليست لدينا كتابات جاهلية من النوع السذي يقول له المستشرقون (كتابات عربية شمالية) ، فيها اسم (العرب) ، غير نص واحد، هو النص الذي يعود الى (امرئ القيس بن عمرو) . وقد ورد فيه : « مر القيس بر عمرو ، ملك العرب كله ، ذو اسراتج وملك الأسدين ونزروا وملوكهم وهرب منحجو ... »^١ . ولورد لفظة (العرب) في هذا النص الذي يعود عهده الى سنة (٣٢٨م) شأن كبير « غير اننا لا نستطيع ان نقول : ان لفظة (العرب) هنا ، يراد بها العرب بدواً وحضراً ، أي يراد بها العلم على قومية ، بل يظهر من النص بوضوح وجلاء انه قصد (الأعراب) ، أي القبائل التي كانت تقطن البادية في تلك الأيام .

أما النصوص العربية الجنوبية ، فقد وردت فيها لفظة (اعرب) بمعنى (أعراب) ، ولم يقصد بها قومية ، أي علم لهذا الجنس المعروف،الذي يشمل كل سكان بلاد العرب من بدو ومن حضر ، فورد : (واعرب ملك حضرموت) ، أي (وأعراب ملك حضرموت)^٢ ، وورد : (واعرب ملك سبا) ، أي (وأعراب ملك سبا)^٣ . وكالذي ورد في نص (أبرهة) ، نائب ملك الحبشة على اليمن^٤ . ففي كل هذه المواضع ومواضع أخرى ، وردت بمعنى أعراب . أما أهل المدن والمتحضرين ، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم، وكانت مستقرة في الغالب . ولهذا قيل (سبا) و (همدان) و (حَمِير) و قبائل أخرى ، بمعنى انها قبائل مستقرة متحضرة ، تمتاز عن القبائل المتنقلة المسماة (اعرب) في النصوص العربية الجنوبية ، مما يدل على أن لفظة (عرب) و (العرب) لم

١ Ephemera, 2-34, Nabia, P., 4, Plate, 2, Dussaud, in rev. Archeologique, II, (1902), 409, ff., Arabes en Syrie avant L'Islam, P., 34, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 28.

وسيكون رمزه Montgomery .

٢ لما كان المسند لا يعرف الحركات ، صعب علينا قراءة الكلمات قراءة صحيحة فتجوز قراءة كلمة « اعرب » مثلاً : (اعرب) وتجوز قراءتها (اعراب) .

٣ نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، بقلم الدكتور خليل يحي نامي (ص ٩٢) ، النقش ٧١ سطر ٢ ، وسأشير اليه ب : نشر ، (ص ٩٣) نص رقم ٧٢ ، و ٧٣ .

٤ Glaser, Zwei Inschriften über den Dambruch von Marib, S., 33, Ency, Bibli., I, P., 275, Cis, 541 Glaser, 618.

Albert Jamme, Sabaeen Inscriptions from Mahram Biqis Baltimore, 1962, P., 445 .

تكن تؤدي معنى الجنس والقومية وذلك في الكتابات العربية الجنوبية المدونة والواصلة
 إلينا إلى قبيل الإسلام بقليل (٤٤٩ م) (٥٤٢ م)^١ . والرأي عندي أن العرب
 الجنوبيين لم يفهموا هذا المعنى من اللفظة إلا بعد دخولهم في الإسلام ، ووقوفهم
 على القرآن الكريم ، وتكلمهم باللغة التي نزل بها ، وذلك بفضل الإسلام بالطبع .
 وقد وردت لفظة (عرب) في النصوص علماً لأشخاص^٢ .

وقد عرف البدو ، أي سكان البادية ، بالأعراب في عربية القرآن الكريم .
 وقد ذكروا في مواضع من كتاب الله ، وقد نعتوا فيه بنعوت سيئة^٣ ، تدل
 على أثر خلق البادية فيهم . وقد ذكر بعض العلماء أن الأعراب بادية العرب ،
 وأنهم سكان البادية^٤ .

والنص الوحيد الوحيد الذي وردت فيه لفظة (العرب) علماً على العرب
 جميعاً من حضر وأعراب ، ونعت فيهم لسانهم باللسان العربي ، هو القرآن
 الكريم . وقد ذهب (د . هـ . مار) إلى أن القرآن الكريم هو الذي خصص
 الكلمة وجعلها علماً لقومية تشمل كل العرب . وهو يشك في صحة ورود كلمة
 (عرب) علماً لقومية في الشعر الجاهلي ، كالذي ورد في شعر لامرئ القيس ،
 وفي الأخبار المدونة في كتب الأدب على ألسنة بعض الجاهليين^٥ . ورأي (مار)
 هذا ، رأي ضعيف لا يستند إلى دليل ، إذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوماً بهذا
 المعنى لو لم يكن لهم علم سابق به ؟ وفي الآيات دلالة واضحة على أن القوم
 كان لهم إدراك لهذا المعنى قبل الإسلام ، وأنهم كانوا ينعنون لسانهم باللسان
 العربي ، وأنهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية : (أعجمي
 وعربي ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء)^٦ . وكذلك أنزلناه حكماً

١ Margoliouth, The Relations, P., 2, Glaser, 564, 2, MVAG., VI, 7, CIH. 79. 9.
 CIH, 343, 397, 7. CIH, IV, Pars Himyaritica, Nos, 79, 343, 397 Montgomery. P. 27.

٢ نشر (ص ٨٩) نص ٦٩ ،

٣ Ansaldo, Cesare il Yemen, Nella Storia e nella Legenda., Roma, 1933, Nr., 17,
 69, Ryckmans, in Le Muséon, Vol., I, Part., 3, (1937), Nr. 180.

٤ التوبة ، الآية ٩٧ ، ١٠١ ، الفتح ، الآية ١١ ، الحجرات ، الآية ١٤ .

٥ بلوغ الأرب (١٣ / ١) ، تاج العروس (٣ / ٣٣٣) فما بعدها .

٦ D.H. Muller, in Neue Frele Presse, (1894), 20th April, Ency. Bibl., I, P., 274.

(قرى عربيات) ، الأغاني (٩ / ١٩) ، (١٠ / ١٤٩) .

٦ سورة فصلت رقم ٤١ ، الآية ٤٤ .

عربياً^١ . (وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا)^٢ . (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين)^٣ . ففي هذه الآيات وآيات أخرى غيرها دلالة على أن الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لساناً عربياً ، وفي ذلك دليل على وجود الحس بالقومية قبيل الإسلام^٤ .

ونحن لا نزال نميز الأعراب عن الحضرة ، ونعتددهم طبقة خاصة تختلف عن الحضرة ، فنطلق عليهم لفظة : (عرب) في معنى بدو وأعراب ، أي بالمعنى الأصلي القديم ، ونرى ان عشيرة (الرولة) وعشائر أخرى تقسم سكان الجزيرة الى قسمين : حضر و (عرب) . وتقصد بالعرب أصحاب الخيام أي المتنقلين . وتقسم العرب ، أي البدو الى (عرب القبيلة) ، و (عرب الديرة) ، وهم العرب المقيمون على حافات البوادي والأرياف ، أي في معنى (عرب الضاحية) و (عرب الضواحي) في اصطلاح القدامى .

ثم تقسم الحضرة وتسميهم أيضاً بـ (أهل الطين) الى (قارين) ، والواحد (قروني) ، وهم المستقرون الذين لهم أماكن ثابتة ينزلونها أبداً ، والى (راعية) والمفرد راع ، وهم أصحاب أغنام وشبهه حضر ، ويقال لهم (شواية) و (شيان) و (شواية) و (رحم الديرة) بحسب لغات القبائل^٥ .

وأشبه مصطلح من المصطلحات القديمة بمصطلح (شواية) و (شواية) ، هو (الأرحاء) ، وهي القبائل التي لا تتجمع ولا تفرح مكانها ، إلا ان يتجمع بعضها في البرحاء و عام الجذب^٦ .

وخلاصة ما تقدم ان لفظه (عرب) ، (عرب) ، هي بمعنى التبدلي والأعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم

-
- ١ سورة الرعد رقم ١٣ ، الآية ٣٧
 - ٢ سورة الاحقاف ، رقم ٤٦ الآية ١٢
 - ٣ النحل ، السورة رقم ١٦ ، الآية ١.٣
 - ٤ سورة يوسف الآية ٢ ، سورة طه الآية ١١٣ ، سورة الزمر ، الآية ٢٨ ، سورة الثورى ، الآية ٧ ، سورة الزخرف ، الآية ٣ .
 - ٥ B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 398.
 - ٦ « شواية » .
العقد الفريد (٣ / ٣٣٥) .

النصوص التاريخية التي وصلت إلينا ، وهي النصوص الآشورية . وقد عنت بها البدو عامة ، مها كان سيدهم أو رئيسهم . وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم . ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب ، توسعوا في استعمال اللفظة ، حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار أنهم أهل بادية وان حياتهم حياة أعراب . ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم ، فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها ، وأطلق لذلك كلمة اللاتين واليونان على بلاد العرب لفظة (Arabae) (Arabia) أي (العربية) بمعنى بلاد العرب .

لقد أوتعنا هذا الاستعمال في جهل بأحوال كثير من الشعوب والقبائل ، ذكرت بأسمائها دون أن يشار إلى جنسها . فحزنا في أمرها ، ولم نتمكن من ادخالها في جملة العرب ، لأن الموارد التي نملكها اليوم لم تنص على أصلها . فلم تكن من عاداتها ، ولم يكن في مصطلح ذلك اليوم كما قلت اطلاق لفظة (عرب) إلا على الأعراب عامة ، وذلك عند جهل اسم القبيلة ، وكانت تلك القبيلة بادية غير مستقرة ، وقد رأينا ان العرب أنفسهم لم يكونوا يسمون أنفسهم قبل الميلاد ، إلا بأسمائهم ، ولولا وجودهم في جزيرة العرب ولولا عثورنا على كتابات أو موارد أشارت إليهم ، لكان حالهم حال من ذكرنا ، أي لنا تمكنا من ادخالهم في العرب . ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً تجاه القبائل المذكورة ، وليس لنا إلا الانتظار ، فلعل الزمن يبعث نصاً يكشف عن حقيقة بعض تلك القبائل .

هذا ويلاحظ أن عدداً من القبائل العربية الضاربة في الشمال والسكنة في العراق وفي بلاد الشام ، تأثرت بلغة بني إرم ، فكثرت بها ، كما فعل غيرهم من الناس الساكنين في هذه الأرضين ، مع أنهم لم يكونوا من بني إرم . ولهذا حسبوا على بني إرم ، مع أن أصلهم من جنس آخر . وفي ضمن هؤلاء قبائل عربية عديدة ، ضاع أصلها ، لأنها تنقفت بثقافة بني إرم ، فظن لذلك أنها منهم .

الآن وقد انتهيت من تحديد معنى (عرب) وتطورها إلى قبيل الإسلام ، أرى لزاماً عليّ أن أتحدث عن ألفاظ أخرى استعملت بمعنى (عرب) في عهد من العهود ، وعند بعض الشعوب . فقد استعمل اليونان كلمة (Saraceni)

و (Saracenes) ، واستعملها اللاتين على هذه الصورة (Saracenus) ، وذلك في معنى (العرب)^١ وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام^٢ وفي طور سيناء^٣ ، وفي الصحراء المتصلة بأدوم^٤ . وقد توسع مدلولها بعد الميلاد ، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس ، فأطلقت على العرب عامة ، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة (عرب) في كتبهم ، مستعاضين عنها بكلمة (Saraceni)^٥ . وأقدم من ذكرها هو (ديوسقوريدس (Dioscurides of Anazarbos) الذي عاش في القرن الأول للميلاد^٦ . وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب ، وأحياناً على جميع المسلمين^٧ . ونجد الناس يستعملونها في الانكليزية في موضع (عرب) ومسلمين حتى اليوم .

وقد أطلق بعض المؤرخين من أمثال « يوسبيوس » « أوسبيوس » (Eusebius) و (هيرونيوموس) (Hieronymus) هذه اللفظة على (الاشماعيليين) الذين كانوا يعيشون في البراري في (قادش) في بريا (فاران) ، أو مدين حيث جبل (حوريب)^٨ . وقد عرفت أيضاً بـ (الهاجرين) (Hagerene) ثم دعيت بـ (Saracenes)^٩ .

ولم يتحدث أحد من الكتبة اليونان والرومان والسريان عن أصل لفظة (Saraceni) (Sarakenoi) . ولم يلتفت العلماء الى البحث في أصل التسمية إلا بعد النهضة العلمية الأخيرة ، ولذلك اختلفت آراؤهم في التعليل ، فزعم بعضهم انه مركب من (سارة) زوج ابراهيم ، ولفظ آخر ربما هو (قين) ،

Forster, Vol., 2, P., 9, Webster's New International Dictionary of English Language, Vol., 2, P., 2216, Ency. Brita., Vol., 19, P. 987 ١

Ency. Brita., Vol., 19, P., 987 ٢

Forster, Band, 2, S., 9, Ptolemy, 5, 16, Ency. of Islam, Vol., 4, P. 155. ٣

Forster, Vol., P. 20. f. ٤

Ency. of Islam, Vol., 4, P., 156. ٥

وسيكون الرمز : Ency

Ency., Vol., 4, P., 155, Bretzl, Botanische Forschungen des Alx Alexanderzuges, S., 282. ٦

Ency. Vol, 4 P., 155. ٧

قاموس الكتاب المقدس (١ / ٣٩٥) . ٨

Ency., Vol., 4, P., 156, Eusebius, (ed. Schoene), II, 13, Chron. Pasch., 94, 18. ٩

فيكون المعنى (عبيد سارة)^١ . وقال آخرون : انه مشتق من (سرق) ، فيكون المواد من كلمة (Saraceni) (سراكين) (السراقين) أو (السارقين) اشارة الى غزوهم وكثرة سطوهم^٢ . أو من (Saraka) بمعنى (Sherk) أي (شرق)^٣ ، ويراد بذلك الأرض التي تقع الى شرق النبط . وقال (ونكلر) انه من لفظة (شرقو) ، وتعني (سكان الصحراء) أو (أولاد الصحراء) . استنتج رأيه هذا من ورود اللفظة في نص من ايام (سرجون)^٤ . ويرى آخرون انه تصحيف (شريقين) ، أو (شارق)^٥ على نحو ما يفهم من كلمة (قدموني) (Qadmoni) في التوراة ، بمعنى شرقي ، أو أبناء الشرق (Bene Kedem) (Bene Qedhem)^٦ . وكانت تطلق خاصة على القبائل التي رجع النسابون العبرانيون نسبها الى (قطورة)^٨ .

وقد مال الى هذا الرأي الأخير أكثر من بحث في هذه التسمية من المستشرقين ، فعندهم ان (سرسين) أو (سركين) أو (Sarakenoi) من (شرق) ، وان (Bene Kedem) و (Qadmoni) العبرائيتين هما ترجمتان لللفظة (Saraceni)^٩ . ولهذا يرجحون هذا الرأي ويأخذون به .

١ الهلال السنة السادسة ، الجزء (١٥ ديسمبر) ١٨٩٧ ، ص ٢٩٦ ، المشرق : السنة السابعة ، الجزء ٧ ، ص ٣٤٠ ، حيث رأى (الاب أنستاس ماري الكرملّي) ان Sarrasins من (سرحة) ، وهو مخالف باليمن . وعلى هذا فهم (السرحيون) . (وسمعتهم يقولون : سراكنو ، سراكنو ، ومعناه المسلمون) ، رحلة ابن بطوطة (٢ / ٤٤١) ، (طبعة أوربة) ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار : تهذيب رحلة ابن بطوطة ، بقلم احمد العوامري بك ومحمد احمد جاد المولى بك ، (بولاق ١٩٣٤) ، (١ / ٢٨٨) ، (قل لهذا السركنو يعني المسلم) (ص ٢٩٣) ، (وكانت الروم تسمى العرب سارقوس ، يعني ذوي سارة ، بسبب هاجر أم اسماعيل) ، ابن الاثير : الكامل (١ / ١١٧) .

٢ الهلال : السنة ٦ (ج ٨) (١٨٩٧) ص ٢٩٦ .

٣ Musil, Arabia Deserta, P., 311, Stephen of Byzantium, Ethnica, P., 556, (Meineke),

٤ Ency., Vol., 4, P., 156, Winckler, Altorient. Forschungen, II, Ser., I, 77f.

٥ الهلال : الجزء المذكور ، ص ٢٩٦ ، مجلة لفة العرب ، الجزء ٤ السنة ٧

(١٩٢٩) ، ص ٢٩٣ ، Ency., Vol., 4, P., 156

٦ التكوين : الأصحاح الخامس عشر ، الآية ١٩ .

٧ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٢٠٦) ، Hastings, P., 512,

٨ التكوين ٢٥ ، الآية ١ - ٦ ، Hastings, P., 512,

٩ Musil, Deserta, P., 494.

والقائلون ان (سارقين) من أصل لفظتين (سارة) ، زوج ابراهيم ، ومن (قين) بمعنى (عبد) وان المعنى هو (عبيد سارة) ، متأثرون برواية التوراة عن سارة وبالشروح الواردة عنها^١ . وليست لأصحاب هذا الرأي أية أدلة أخرى غير هذا التشابه اللفظي الذي نلاحظه بين (سرسين) وبين (سارقين) ، وهو من قبيل المصادفة والتلاعب بالألفاظ ولا شك ، وغير هذه القصة الواردة في التوراة : قصة (سارة) التي لا علاقة لها بالسرسين .

هذا وما زال أهل العراق يطلقون لفظة (شروك) و (شروكية) على جماعة من العرب هم من سكان (لواء العجارة) والأهوار في الغالب ، وينظرون اليهم نظرة خاصة ، ولا شك عندي ان لهذه التسمية علاقة بتلك التسمية القديمة . ويستعمل أهل العراق في الوقت الحاضر لفظة أخرى ، هي (الشرجية) ، أي (الشرقية) ، ويقصدون بها جهة المشرق . وتقابل لفظة (بني قديم) في العبرانية، وهي من بقايا المصطلحات العراقية القديمة التي تعبر عن مصطلح (شركوني) و (بني قديم) .

هذا وقد عرف العرب ان الروم يسمونهم (ساراقيينوس) ، فقد ذكر (المسعودي) ان الروم الى هذا الوقت (أي الى وقته) تسمي العرب (ساراقيينوس). وذكر خبيراً طريفاً عن ملك الروم (نقفور) المعاصر لـ (هارون الرشيد) . فقد زعم انه (أنكرك على الروم تسميتهم العرب ساراقيينوس . تفسير ذلك عبيد ساره ، طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل ، وانها كانت أمة لسارة ، وقال: تسميتهم عبيد سارة ، كذب^٢ .

وقد كانت منازل (القدمونيين) ، (هقدميني) ، (هاقدمونسي) (Kadmonites) ، في المناطق الشرقية لفلسطين ، أي في بادية الشام . ولما كان (قيما) (Kedemeh) هو أحد أبناء اسماعيل في اصطلاح (التوراة) ، فيكون أبناء (قيما) من العرب الاسماعيليين^٣ . وقد ذكر في موضع من التوراة انهم كانوا يقطنون المناطق الشرقية لفلسطين قرب (البحر الميت) المعروف في

١ لغة العرب ج ٤ ، من السنة ٧ ، ص ٢٩٤ .

٢ التنبيه (ص ١٤٣) (طبعة عبد الله اسماعيل الصاوي) .

٣ Hastings, P., 512, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 633.

العبرانية بـ (هايم هقدموني) ، أي (البحر القدموني) (البحر الشرقي)^١ .
 وقد كان (القدمونيون) ، أي (بنو قديم) أعراباً يقطنون في بادية الشام.
 وأشباه أعراب ، أي رعاة وأشباه حضريين ، واللفظة لا تعني قبيلة واحدة معينة ،
 أي علمية ، ولا تعني قبائل معينة ، وإنما هي لفظة عامة أطلقت على الساكنين
 في الأماكن الشرقية بالنسبة إلى العبرانيين^٢ .

ونجد في الكتب اليونانية لفظة لها علاقة بطائفة من العرب، هي (Skenitae)
 (Scenitae) ، وقد أطلقت خاصة على أعراب بادية الشام . وقصد بها الأعراب
 سكان الخيام ، أي (أهل الوبر) في اصطلاح العرب . وقد ذهب بعض العلماء
 إلى أنها من (الخيمة) التي هي منزل الأعرابي ، لأن الخيمة هي (Skene)
 (Skynai) في اليونانية . فالعنى إذن (سكان الخيام)^٣ .

وقد ذكر (سترابون) أن الـ (Scenitae) كانوا نازلين على حدود
 (سورية) الشرقية ، كما ذكر أن منهم من كان يتزل شمال (العربية السعيدة)
 وهم سكان خيام^٤ . وقد فرق (سترابون) بينهم وبين البدو تفرقة ظاهراً ،
 ويميزهم عن غيرهم من الأعراب بسكناهم في الخيام . وقال عنهم في موضع
 آخر : أنهم يمثلون بصورة عامة (بدو) العراق^٥ . وأنهم يعتنون بتربية الإبل .
 وقد ذكرهم أيضاً في أثناء كلامه على ساحل (Maranitae) فقال : انه مأهول
 بالفلاحين وبالك (Scenitae) وأراد بهم الأعراب الذين لا يسكنون إلا الخيام
 ويعيشون على تربية الإبل ، وقد ذكر أنهم كانوا قبائل ومشيخات^٦ .

وقد ذكرهم (بلينيوس) كذلك ، فدعاهم بـ (Scenitae)^٧ . وقد
 كانوا يقيمون في البادية . وقد حاربهم (سبتيموس سفروس) ، وسأحدث

١ حزقيال ، الأصحاح { } ، الآية ١٨ Hastings, A Dictionary, I, P., 8311,
 ٢ J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament, P., 13.
 ٣ Webster's New International Dictionary of the English Language, Vol, 2, P. 2233,
 Strabo, XVI, 2 : 2, Vol., I, P., 63, 196, 441, Vol., 2, P. 219. 252. Vol. 3. P. 160.
 166, 185, 190, 204, (Hamilton).
 ٤ Strabo, Vol., I, P., 196, 441.
 ٥ Musil, Palmyrena, p., 209, Strabo, Vol., 3, P., 166, 190, 204.
 ٦ راجع المواضع المشار إليها من جغرافية (سترابون) ،
 Dio., P., 254, A Cyclopaedia of Biblical Literature, by, John Kitto, I, P., 184.
 ٧ Pliny, 6, 143, Der Araber, 1, 178.

عن ذلك فيما بعد ، كما أشار غيره اليهم . والظاهر ان لفظة (Nomas) (Nomadas) التي تعني (البدو) لا تؤدي معنى (Scenitae) أي سكان الخيام . اذ فرق الكتبة اليونان في مؤلفاتهم بين اللفظتين . وأغلب ظني ان المراد بسكان الخيام الأعراب المستقرون بعض الاستقرار ، أي الذين عاشوا في مضارب عيشة شبه مستقرة ، لهم خيامهم وإبلهم وحيواناتهم على مقربة من الريف والحضارة . أما الـ (نومادس) (Nomades) (Nomadas) فقد كانوا قبائل رحلا يعيشون في البوادي لا يستقرون في مكان واحد ، متى وجدوا فرصة اغتناموها فأغاروا على من يجدونهم أمامهم ، للعيش على ما يقع في أيديهم . ولذلك كانت ظروف ضعف الحكومات أو انشغالها بالحروب من أحسن الفرص المناسبة لهم . ومن هنا فرق الكتبة اليونان وغيرهم بين الجماعتين^١ .

إننا لا نستطيع أن نحدد الزمان الذي ظهر فيه مصطلح (سكينية) بين اليونان واللاتين . وقد يكون ترجمة للفظه أخذوها من الفرس أو الآشوريين أو غيرهم من الشعوب . ومصطلح (أهل الوبر) ، هو مصطلح يقابل جملة (سكان الخيام) في نظري . أما مصطلح (أهل بادية) أو (أعراب بادية) أو (سكان البوادي) ، فانه تعبير يقابل (Nomadas) عند اليونان .

وعرف العرب عند الفرس وعند بني لرم بتسمية أخرى ، هي : (Tayayo) و (Taiy) . أما علماء عهد التلمود من العبرانيين ، فأطلقوا عليهم لفظة (طي ي ع ا) (طيعا) و (طيايا) (طياية)^٢ وأصل الكلمتين واحد على ما يظهر ، أخذ من لفظة (طيء) اسم القبيلة العربية الشهيرة على رأي أكثر العلماء^٣ . وكانت تنزل في البادية في الأرضين المتاخمة لحدود امبراطورية الفرس ، وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام ، ولهذا صار اسمها مرادفاً للفظه (العرب) (عرب) . وقد ذكر (برديسان) اسم (Tayaye) (Tayoye) مع (Sarakoye)^٤ .

Der Araber, I, S., 178.

The Uni. Jew. Ency., Vol., 2, P., 43, Margollouth, P., 57, Ency, Vol. 4. p. 598.

Ency., Vol., 4, P., 598,

Ency., Vol., 4, P., 598, Cureton, Spicil. Syr., P., 16, Noldeke, in ZDMG. IXIX.

713, Margollouth, The Relations, P., 57, Kraus, in ZDMG, LXX, 321, foli.

وقد شاعت هذه التسمية قرب الميلاد ، وانتشرت في القرون الأولى للميلاد ،
كما يتبين ذلك من الموارد السريانية والموارد اليهودية ^١ .

واستعملت النصوص (الفهلوية) (Pahlawi) لفظة (تاجك)
(Tashik) (Tachik) (Tadjik) في مقابل (عرب) ، كما استعملت
الفارسية لفظة (تازي) بهذا المعنى أيضاً . واستعمل الأرمن كلمة (تجك)
(Tachik) في معنى عرب ومسلمين ، واستعمل الصينيون لفظة (تشي)
(Tashi) لهذه التسمية . وقد عرف سكان آسية الوسطى الذين دخلوا في الإسلام
بهذه التسمية ، كما أطلق الأتراك على الإيرانيين لفظة (تجك) ، من تلك
التسمية ، حتى صارت لفظة (تجك) تعني (الإيراني) في اللغة التركية ^٢ .

ويرى بعض العلماء ان (تاجك) و (تجك) و (تازك) ، هي من الأصل
المتقدم . من أصل لفظة (طيء) ^٣ . ولكلمة (تازي) في الفارسية معنى
(صحراوي) ، من (تاز) (Taz) ، بمعنى الأرض المقفرة الحالية ، ولذلك
نسب بعض الباحثين كلمة (تازي) الى هذا المعنى ، فقالوا انها أطلقت على
العرب لما اشتهر عنهم أنهم صحراويون ^٤ .

وقد زعم (حمزة الأصفهاني) ان الفرس أطلقوا على العرب لفظة (تاجيان) ،
نسبة الى (تاج بن فروان بن سيامك بن مشى بن كيومرث) ، وهو جد
العرب ^٥ .

وبعض هذه التسميات المذكورة ، لا يزال حياً مستعملاً ، ولكنه لم يبلغ
مبلغ لفظة (عرب) و (العرب) في الشهرة والانتشار . فقد صارت لفظة
(عرب) ، علماً على قومية وجنس معلوم ، له موطن معلوم ، وله لسان

O'Leary, Arabia, P., 18, J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S., 233. f. ١

Ency., Vol., 4, P., 598. ٢

Ency., Vol., 4, P., 598. ٣

الرسالة : الجزء ٦٥٤ ، السنة ١٩٤٦ ، تعليق بقلم (ح . م . ع) من النجف
على كلمة « تاجك » ، وكنت قد كتبت فيها في مجلة الرسالة المصرية قبل هذا
الجزء .

• حمزة (٢٤) .

خاص به يميزه عن سائر الألسنة، من بعد الميلاد حتى اليوم . وقد وسع الاسلام رقعة بلاد العرب ، كما وسع مجال اللغة العربية ، حتى صارت بفضل لغة عالمية خالدة ذات رسالة كبيرة ، غمرت بفضل الاسلام بعض اللغات مثل الفارسية والتركية والأردية ولغات اخرى، فزودتها بمادة غزيرة من الألفاظ ، دخلت فيها حتى صارت جزءاً من تلك اللغات ، يظن الجاهل انها منها لاستعماله لها ، ولكنها في الواقع من أصل عربي .

وربّ سائل يقول: لقد كان للعرب قبل الإسلام لغات ، مثل المعينية والسبئية والحمرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها ، اختلفت عن عربية القرآن الكريم اختلافاً كبيراً ، حتى إن أحدنا إذا قرأ نصاً مدوناً بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه ، وظن إذا لم يكن له علم بلغات العرب الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم ، فماذا سيكون موقفنا من أصحاب هذه اللغات ، وهل نعدهم عرباً ؟

والجواب أن هؤلاء ، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا ، فإنهم عرب لحمياً ودمياً، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب ، لم يردوا اليها من الخارج، ولم يكونوا طارئین عليها من أمة غريبة . فهم إذن عرب مثل غيرهم ، وكل لغات العرب هي لغات عربية ، وإن اختلفت وتباينت ، وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلا لغة واحدة من تلك اللغات ، ميزت من غيرها ، واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الإسلام ، وبفضل نزول الكتاب بها ، فصارت (اللغة العربية الفصحى) ولغة العرب أجمعين .

وحكمنا هذا ينطبق على النبط أيضاً وعلى من كان على شاكلتهم ، وإن عددهم علماء النسب والتاريخ واللغة والأخبار من غير العرب ، وأبعدوهم عن العرب والعربية، فقد كان أولئك وهؤلاء عرباً أيضاً ، مثل عرب اليمن المذكورين ومثل ثمود والصفويين واللحيانيين ، لهم لهجاتهم الخاصة ؛ وإن تأثروا بالإرمية وكتبوا بها ، فقد تكلم اليهود بالإرمية ونسي كثير منهم العبرانية ، ولكن نسيان أولئك اليهود العبرانية ، لم يخرجهم مع ذلك عن العبرانيين .

وسترد في بحثنا عن تاريخ الجاهلية أسماء قبائل عربية كثيرة عديدة لا عهد للإسلاميين بها ، ولا علم لهم عنها ، ذكروا في التوراة وفي كتب اليهود الأخرى

وفي الموارد اللاتينية واليونانية والكتابات الجاهلية . وإذا جاز لأحد الشك في أصل بعض القبائل المذكورة في كتب اليهود أو في مؤلفات الكتبة (الكلاسيكيين) على اعتبار أنها أخطأت في ادخالها في جماعة العرب ، فإن هذا الجواز يسقط حتماً بالنسبة الى القبائل المذكورة في الكتابات الجاهلية ، وبالنسبة الى القبائل التي دونت تلك الكتابات . فهي كتابات عربية ، وإن اختلفت عن عربيتنا وباينت لغتها لغتنا ، لأنها لهجة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها ، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب .

فسيئنا في هذا الكتاب إذن ، هو البحث في كل العرب : العرب الذين تعارف العلماء الإسلاميون على اعتبارهم عرباً ، فنحوهم شهادة العروبة ، بحسب طريقتهم في تقسيمهم الى طبقات ، وفي وضعهم في أشجار نسب ومخططات ؛ والعرب المجهولين الذين لم يمنحوا هذه الشهادة بل حرموا منها ، ونص على إخراجهم من العرب كالنبت على مسا ذكرت ، والعرب المجهولين كل الجهل الذين لم يكن للمسلمين علم ما بهم ، ولم يكن لهم علم حتى بأسمائهم . ستحدث عن هؤلاء جميعاً ، على اعتبار أنهم عرب ، جهلهم العرب ، لأنهم بادوا قبل الإسلام ، أو لأنهم عاشوا في بقاع معزولة نائية ، فلم يصل خبرهم إلى الإسلاميين ، فلما شرع المسلمون في التدوين ، لم يعرفوا عنهم شيئاً ، فأهملوا ، ونسوا مع كثير غيرهم من المنسيين .

سئل أحد علماء العربية عن لسان حير ، فقال : ما لسان حير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا^١ . ولكن علماء العربية لم يتصلوا من عروبة حير ، ولا من عروبة غيرهم ممن كان يتكلم بلسان آخر مخالف للساننا ، بل عدّوهم من صميم العرب ومن لبتّها ، ونحن هنا لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربية المنسية عروبتها ، لمجرد اختلاف لسانها عن لساننا ، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها . فلغتها هي لغة عربية ، ما في ذلك شك ولا شبهة ، وإن اختلفت عن لسان يعرب أو أي جدّ آخر يزعم أهل الأخبار أنه كان أول من أعرب في لسانه ، فتكلم بهذه العربية التي أخذت تسميتها من

١ الجمحي : طبقات الشعراء (ص ٤ وما بعدها) .

ذلك الإعراب .

وبعد أن عرفنا معنى لفظة العرب والألفاظ المرادفة لها ، أقول إن بلاد العرب أو (العربية) ، هي البوادي والفلوات التي أطلق الآشوريون ومن جاء بعدهم على أهلها لفظة (الأعراب) ، وعلى باديتهم (Arabeae) و (Arabae) وما شاكل ذلك . وهي جزيرة العرب وامتدادها الذي يكون بادية الشام حتى نهايتها عند اقتراب الفرات من أرض بلاد الشام ، فالفرات هو حدها الشرقي . أما حدها الغربي ، فأرض الحضر في بلاد الشام . وتدخل في العربية بادية فلسطين و (طور سيناء) الى شواطئ النيل . وقد أطلق بعض الكتاب اليونان على الأرضين الواقعة شرق الـ (Araxe) ، أي الخابور اسم (Arabia)^١ كما أدخل (هيرودوتس) أرض طور سيناء الى شواطئ نهر النيل في (العربية) (Arabia) أي بلاد العرب^٢ .

أما الآن ، وقد عرفنا لفظة عرب ، وكيف تحددت ، وتطورت ، أرى لزماً علينا الدخول في صلب موضوعنا وهو تاريخ العرب ، مبتدئين بمقدمة عن الجاهلية وعن الموارد التي استقينها منها أخبارها ، ثم بمقدمات عن جزيرة العرب وعن طبيعتها وعن الساميين وعقليتهم وعن العقلية العربية، تليها بحوث في أنساب العرب ، ثم ندخل بعد ذلك في التاريخ السياسي للعرب ، ثم بقية أقسام تاريخ العرب من حضارة ومدنية ودينية واجتماعية ولغوية .

ولما كان الاسلام أعظم حادث نجم على الاطلاق في تاريخ العرب، أخرجهم من بلادهم الى بلاد أخرى واسعة فسيحة ، ويميزهم أمة تؤثر تأثيراً خطيراً في حياة الناس .. صار ظهوره نهاية لدور ومبدأً لتاريخ دور ، ونهاية أيام عرفت بـ (الجاهلية) وبداية عهد عرف بـ (الاسلام) ما زال قائماً مستمراً ، وسيستمر الى ما شاء الله ، به أرخ تاريخ العرب ، فما وقع قبل الاسلام، عرف بتاريخ العرب قبل الاسلام ، وما وقع بعده قيل له : تاريخ العرب بعد الاسلام .

وسيكون بحثنا هنا ، أعني في هذه الأجزاء المتتالية في القسم الأول من

Xenophon, An., I, 5, I, Der Araber, in der Alten Welt, I, S., 165.

١

Heredot, 2, 15, Der Araber, I, S., 166.

٢

تاريخ العرب ، وهو قسم تاريخ العرب قبل الاسلام ، أما القسم الثاني ، وهو تاريخ العرب في الاسلام ، فستأتي أجزاءه بالتالي أيضاً بعد الانتهاء من هذا القسم .

وبعد هذه المقدمة ، فلنطو صفحات هذا الفصل ، ولننتقل الى فصل جديد ، هو الفصل الثاني من هذه الفصول ، فصل : الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي .